الحلم سيد الأخلاق والصبر من عزم الأمور

الصبر هو أول مراحل صعود إلى حسن الخلق الكامل (الحِلم)

من حلم ساد ومن عفا عظم ومن تجاوز استمال قلوب إليه

سأل معاوية بن أبي سفيان عرابة بن أوس : بم سدت قومك يا عرابة ؟ فقال عرابة: يا أمير المؤمنين كنت أحلم عند جاهلهم ، وأعطي سائلهم ، وأسعى في حوائجهم ، فمن فعل منهم فعلي فهو مثلي ، ومن جاوزني فهو أفضل مني ، ومن قصر عني فأنا خير منه

●● ألا تهجر فوق ثلاث ، أن تكون بالناس رفيقاً ، ألا تروّع أحداً في حياتك ،أن تيسّر على الناس، أن تكون هيناً لينا سهلاً من مكارم الأخلاق .

●● سئل الأحنف بن قيس بم سدت قومك؟ قال : وجدت الحلم أنصر لي من الرجال.

●● الحليم لا يغضب إلا ..عند انتهاك حرمات الله تعالى.

(حلم الله تعالى)

لماذا لا يعجل الله تعالى بهلاك وعقاب الكفار والعاصين والمجرمين فى الدنيا ؟

قال تعالى : ﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُواْ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرًا ﴾ فاطر٤٥

﴿ وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ۖ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُواْ لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلْعَذَابَ ﴾ الكهف:٥٨

﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ النحل: ٦١

إنه تعالى غفور رحيم ، إنما يؤخر إهلاكهم لأجل أن يتوبوا ويُسلموا لأن من صفاته تعالى الحلم ، ومن أسمائه الحسنى الحليم ، فهو لا يعجل بالعقوبة ، بل يمهل لخلقه من غير إهمال ، ولن تفوته عقوبتهم لو أراد ، كما هو الحال في البشر ، لكنه حليم لا يعجل بالعقوبة ، فالله عز وجل «يمهل ولا يهمل» . والحلم هو ألا تغضب في نفسك أو في العلن .الحليم لا يكون في نفسه أي غضب على من أساء إليه وهذه قمة الإنسانية ولا نجد الكثيرين من هؤلاء وجميعنا يعلم حلم رسول الله الذي ظهر جلياً في فتح مكة حين قال :«اذهبوا فأنتم الطلقاء» وليس في قلبه شيء من الغضب على أهل مكة الذين أخرجوه وعذبوه هو وأصحابه.

(الحلم سيد الأخلاق)

(غضب الحليم)

والحليم لا يغضب إلا عند انتهاك حرمات الله تعالى ولا يكون الحليم حليماً إلا إذا كان صابرا كاظما لغيظه عفوا يصفح ويعفوعن الناس لكن قد يكون الإنسان صابراً ولا يكون حليما فالحلم جمع الخلق الحسن ومن بلغ مَرحلة الحلم فقد فاز ولهذا قال الإمام علي بن أبي طالب: الحلم سيد الأخلاق .

ومن حلم الله تعالى حلمه على فرعون الذي ادعى أنه الإله ومع هذا أرسل الله تعالى له نبيين وأوصاهما بأن يقولا له قولاً ليناً .(فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى) . ومن حلمه تعالى أنه لو بلغت ذنوب العبد ما بلغت يغفرها الله تعالى له فبمجرد أن يكون الإنسان موحداً مستغفرا ، يغفر الله تعالى له (إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء). ومن حلمه سبحانه وتعالى أنه لا يغفر الذنوب ويعفو عنا فقط بل يبدل السيئات حسنات فإذا تاب المذنب يبدل الله تعالى سيئاته حسنات. ﴿ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ الفرقان٧٠.

والحلم هو ضبط النفس عند الغضب ، والصبر على الأذى ، من غير ضعف ولا عجز ابتغاء وجه الله تعالى وتتفاوت قدرات الناس في ضبط النفس ، والصبر على الأذى ، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوصي أصحابه رضوان الله عليهم بالتحلي بالحلم في تعاملهم ، ويحثهم عليه وكان مع ما أعطاه الله من خلق عظيم وصفات حميدة يدعو الله بأن يجعل الحلم زينة له فيقول: (اللهم أغنني بالعلم، وزيني بالحلم ، وأكرمني بالتقوى ، وجملني بالعافية) .

ويعد الحلم وسيلة إلى تبوء المراكز الهامة في المجتمع ، وكانت العرب تقول في أمثالها : (من حلم ساد) ومن هؤلاء الذين تزعموا أقوامهم بسبب حلمهم عرابة بن أوس ، والأحنف بن قيس ، وروي أن معاوية بن أبي سفيان قال لعرابة بن أوس : بم سدت قومك يا عرابة ؟ فقال عرابة : يا أمير المؤمنين كنت أحلم عند جاهلهم ، وأعطي سائلهم ، وأسعى في حوائجهم ، فمن فعل منهم فعلي فهو مثلي ، ومن جاوزني فهو أفضل مني ، ومن قصر عني فأنا خير منه .ومن حلم الرسول صلى الله عليه وسلم عدم دعائه على الذين آذوه من قومه ، وقد كان باستطاعته أن يدعو عليهم ، فيهلكهم الله ، ولحلمه بهم غاية يهدف إليها فهو يرحمهم لعلهم يؤمنون ، فيحلم بهم رجاء إصلاحهم. روى البخاري ومسلم عن عبد الله بن مسعود قال : كأني أنظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يحكي نبيا من الأنبياء صلوات الله عليهم ، ضربه قومه فأدموه ، وهو يمسح الدم عن وجهه ويقول : (اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون).

وكلما زادت سلطات المرء وقدراته ونفوذه ، كان حلمه أوسع وأشمل وأعم وأنفع له ولمن يحكم. ألم تسمع قوله صلى الله عليه وسلم : (إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه .. ولا ينزع من

شيء إلا شانه).ألا تهجر فوق ثلاث فلا يكون حليماً من يهجر أخاه،أن تعود نفسك على أن تسلّم على الناس. وأن تكون بهم رفيقاً ، ألا تروّع أحداً في حياتك «من أخاف مسلماً أخافه الله تعالى يوم القيامة»،أن تيسّر على الناس كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنما بعثتم ميسرين لا معسرين.أن تكون هيناً لينا سهلاً من مكارم الأخلاق (فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لانفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ).

وما مدح الله تعالى نبيّاً كما مدح المصطفى عليه الصلاة والسلام في قوله تعالى (وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ) والحلم قمة حسن الخلق. فإذا بلغ العبد مرحلة أن يكون حليماً فقد جمعت له كل عناصر حسن الخلق فقد بلغ مرحلة كمال الخلق الحسن وقد قال الإمام علي رضي الله عنه: الحلم سيد الأخلاق. ولهذا مدح الله تعالى إبراهيم عليه السلام: (إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُّنِيبٌ) بل إن الله تعالى وصف نفسه بأنه غني حليم، عليم حليم وشكور حليم .

(الصبر ثمرة الحلم)

والفرق بين الصبر والحلم أن الصبر ثمرة الحلم وموجبه فعلى قدر حلم العبد يكون صبره فالحلم في صفات الله تعالى أوسع من الصبر ولهذا جاء اسمه الحليم في القرآن في غير موضع ولسعته يقرنه سبحانه باسم العليم كقوله وكان الله عليما حليما والله عليم حليم .فإن المخلوق يحلم عن جهل ويعفو عن عجز والمولى تعالى يحلم مع كمال علمه ويعفو مع تمام قدرته وما أضيف شيء الى شيء أزين من حلم الى علم ومن عفو الى اقتدار .وأما صبره سبحانه فمتعلق بكفر العباد وشركهم له سبحانه وأنواع معاصيهم وفجورهم فلا يزعجه ذلك كله إلى تعجيل العقوبة بل يصبر على عبده ويمهله ويرفق به ويحلم عنه حتى اذا لم يبق فيه موضع للصنيعة ولا يصلح على الإمهال والرفق والحلم ولا ينيب إلى ربه ويدخل عليه لا من باب الإحسان والنعم ولا من باب البلاء والنقم أخذه أخذ عزيز مقتدر بعد غاية الإعذار إليه وبذل النصيحة له ودعائه إليه من كل باب وهذا كله من موجبات صفة حلمه وهي صفة ذاتية له لا تزول .

(قالوا في الحِلم) من حلم ساد ومن عفا عظم ومن تجاوز استمال القلوب إليه. سئل الأحنف بن قيس بم سدت قومك؟ قال وجدت الحِلم أنصر لي من الرجال.

(الدعاء بأسماء الله الحسنى)

«يا حليم»

يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ الأعراف: ١٨٠. من أسماء الله الحسنى اسم (الحليم)، وهذا الاسم يدل على الحلم والرُّشد والتأني والحكمة، وقد تكرر هذا الاسم في القرآن كله ١٥ مرة (على عدة صور: حليم، الحليم، حليماً). فإذا كنتَ ممن يعاني من انفعالات نفسية ، فيمكنك أن تسبح بهذا الاسم وتقول (يا حليم)، صباحاً ومساءً ١٥ مرة (أي بنفس العدد الوارد في القرآن) فسوف تشعر بالحلم ويطمئن قلبك (ألا بذكر الله تطمئن القلوب).

●●●

(وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ)

أول مراحل حسن الخلق الصبر (وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ).

والصبر هو حبس النفس عن المصيبة من موت أو مرض أو مصيبة فالصبر هو أول مراحل الصعود إلى حسن الخلق الكامل الذي هو الحلم. (وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الأُمُورِ).

والفرق بين الصبر والحلم أن من يتصبر بأن يتكلف الصبر يقاسي الشدة فيه، وتلك أدنى مراتب الصبر، ومن يصبر على تجرع المرارة من غير عبوس ومن غير شكوى ، هو الصبر وهو المرتبة الوسطى، ومن يألف ويتقبل الصبر والبلوى لأنه يرى أن ذلك بتقدير المولى عز وجل فلا يجد فيه مشقة بل راحة.

(والكاظمين الغيظ والصفح الجميل)

وبعد كون الإنسان صابراً يتدرج لأن يكون كاظماً لغيظه. أن تصبر على رجل أساء إليك وتبدي غضبك فهذا أمر والأفضل من مجرد الصبر أن تكظم غيظك كما تكظم فم القربة حتى لا يسيل الماء منها فهذا أعلى من الصبر لأن الصبر قد يصاحبه إبداء للغضب أو شكوى من الذي أغاظك أما كاظم الغيظ فهو لا يبدي غضبا أبدا. كان ابن مسعود رضي الله عنه حين جلس في السوق يشتري طعاماً، فلما أراد أن يدفع الدراهم وجدها قد سُرقت، فجعل الناس يدعون على من أخذها، فقال عبد الله بن مسعود: «اللهم إن كان حمله على أخذها حاجة فبارك له فيها، وإن كان حملته جراءة على الذنب فاجعله آخر ذنوبه.»

وفى اللغة أن الصبر هو حبس النفس عن الجزع، والصبر ضد الجزع، ويسمى رمضان شهر الصبر أن فيه حبس النفس عن الشهوات، والصبور سبحانه هو الحليم الذى لا يعاجل العصاة بالنقمة بل يعفو أو يؤخر، الذى إذا قابلته بالجفاء قابلك بالعطاء والوفاء، هو الذى يسقط العقوبة بعد وجوبها، هو ملهم الصبر لجميع خلقه. وقيل اصبروا فى الله وصابروا لله، ورابطوا مع الله، فالصبر فى الله بلاء، والصبر لله عناء، والصبر مع الله وفاء، ومتى تكرر الصبر من العبد أصبح عادة له وصار متخلقا بأنوار الصبور.» ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الأُمُورِ﴾الشورى:٤٣.

وإذا كان الإسلام قد قرر حق المظلوم في معاقبة الظالم على السيئة بمثلها وفق مقتضى العدل، فإن العفو والمغفرة من غير تشجيع على الظلم والتمادي فيه أكرم وأرحم.

الصبر أولاً ثم كظم الغيظ والأعلى منهما العفو وقد تكظم غيظك لكن تشتكي والأفضل من العفو هو الصفح والصفح هو العفو بلا تأنيب (فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ) لما تعفو قد تعفو وتؤنّب أما الصفح فهو أن تعفو بلا تأنيب نهائيا والأعلى منه الصفح الجميل وهو بالإضافة إلى الصفح فيه عطاء للذي أساء إليك تصبر وتكظم غيظك وتعفو وتصفح ثم تحسن إليه بعطاء ومنها قصة أبى بكر ومسطح عندما عفا عنه في حادثة الإفك واستمر في عطائه . والصفح الجميل هو الإحسان .

(العفو سيد الاخلاق ودليل كرم النفس) والعفو يورث صاحبه العزة ولأن بعض الناس قد يزهد في العفو لظنه أنه يورثه الذلة والمهانة فقد أتى النص القاطع يبين أن العفو يرفع صاحبه ويكون سبب عزته. عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:(ما نقصت صدقة من مال، وما زاد الله عبدًا بعفو إلا عزًا، وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله).

بقلم

د. أميمة خفاجى

أستاذ مساعد الهندسة الوراثية

جامعة قناة السويس